على الصهيونية باسرها · كما ان بعض تلك المجموعات المتصلبة تبلورت ، على صعيد اخر ، من خلال معارضتها للسياسات الصهيونية الرسمية ، وتجريحها للزعماء الصهيونيين واحيانا التشكيك بهم ، مما دفع هؤلاء ، في اكثر من حالة، الى تغيير وجهات نظرهم ، او تعديلها على الاقل باضفاء شيء من التصلب عليها ، في ضوء تلك الانتقادات · وكان ذلك قد تم ، الى حد ما ، على ارضية الصعوبات التي جابهت بناء الكيان الصهيوني في فلسطين ، خلال مراحله المختلفة ، والتي ظهر معها ، اكثر من مرة ، كأن وجهات النظر المتصلبة لم تكن دائما على غير حق · ويلاحظ في هذا الصدد وجود تيارين ـ مصدرين للتصلب الصهيوني ، احدهما متدين والاخر علماني ، والاول اعمق واشمل ·

لم تكن الصهيونية ، في اساسها ، الا حركة علمانية ، فاليهود الذين تبنوا فكرة اقامة دولة يهودية او روجوا لها ، في بداية طريقها ، كانوا باكثريتهم من العلمانيين · كما ان بعض اباء الصهيونية ، وعلى رأسهم بينسكر وهرتسل ، كانوا على استعداد لاقامة تلك الدولة ، ان استطاعوا ، في اي مكان اخر غير فلسطين (او « ارض ـ اسرائيل » ، حسب التعريف الصهيوني) · اما المتدينون فقد كانوا اصلا من المعادين لتلك الفكرة ، انطلاقا ـ على الاقل ـ من الاجتهادات الدينية اليهودية المختلفة ، السائدة حتى ذلك الوقت ، والقائلة ان اقامة دولة يهودية بقوى بشرية ليست الا كفرا ، باعتبار ذلك العمل تدخلا في مشيئة الله ، فهو وحده الذي يقرر متى ينبغي انقاذ اليهود ، فيرسل المسيح ـ المخلص لجمع شتاتهم ، واقامة كيان خاص بهم ، قبيل اقتراب العالم من نهايته · ولكن الفكرة الصهيونية حظيت ، على الرغم من ذلك ، بتأييد بعض دوائر اليهود المتدينين ، وان تم ذلك من خلال اصدار « فتاوى » جديدة مكملة للسابقة ، مفادها ان على الرغم من صحة تلك الاجتهادات ، لا بأس من « مساهمة » دنيوية في عملية الخلاص تلك ، ولا مانع من « مساعدة » الله على ارسال مسيحه ، بواسطة البدء بتجميع اليهود في « ارض ـ اسرائيل » ، استعدادا لعملية الخلاص تلك ·

ومع قبول بعض دوائر المتدينين اليهود بالفكرة الصهيونية ، احتدم الخلاف بينهم وبين المتدينين غير الصهيونيين من ناحية ، والصهيونيين العلمانيين من ناحية اخرى ، وذلك منذ بداية النشاط الصهيوني المنظم في فلسطين ، نتيجة لسعيهم الدؤوب ، والمتجدد دائما وابدا ، الى فرض وجهات نظرهم على الاخرين · فالتيار الصهيوني المتدين بلور ، مع ارساء اسسه التنظيمية (على شكل منظمة المزراحي العالمية ، ثم الحزب الديني القومي ـ المفدال ـ في اسرائيل) ، عقيدة خاصة به ، خلاصتها ان اليهود والتوراة وارض ـ اسرائيل هي وحدة لا يمكن تجزئتها ، بل تكاد تكون الشيء نفسه · وقدر اليهود هو التمسك بالتوراة وتعاليمها ، والسعي الى المحافظة عليها وتعميقها ثم نشرها وتطبيقها ، والاحسن ان يتم ذلك في دولة يهودية تقام في « ارض ـ اسرائيل » ،